الدين والحياة

للأستاذ حامد محمود الزفرى

وإذا كان موقفنا هو الالتزام بمقوماتنا التاريخية وتفاعلنا النامى مع المدنية وإيجاد مجتمع ذو أيد ولوجية هادفة وخطة إنسانية نامية متطورة فما أجدرنا أن ننظر على هدى ذلك إلى الجو الفكرى الموجه فى العالم العربى والإسلامى حيث إن وحدة القيم والهدف هى الحبل الذى نعتصم به جميعاً رغم الأحداث والخطوب . لا من قبيل التعصب أو رد الفعل للتيارات الأوربية ولكن لموجب رسالتنا وبمحض اختيارنا وشعورنا الواعى حيال الظروف والاحتياجات واستجابة لداعى الحرية والمسئولية معا . وهذا النظر الخاطف له من الأهمية فى الربط بين الاتجاه الإسلامى عامة والعربى خاصة وبين الاتجاه الثورى . حيث الاشتراك فى التراث والظروف مكان بارز فيما نحن بصدده . سيما وأن القاهرة هى مركز التجمعات التحررية والتراث الإسلامى والإشعاع الدينى الصاعد .

والحقيقة الراهنة الان والسؤال الذى يردده المثقفون غالباً هو : بماذا نحققق فى مجتمعنا السلوك الإسلامى ؟ أو بعبارة أخرى ماذا نفعل أمام المدنية والأساليب الحضارية إذا أردنا تحويل مجرى التيار البشرى فى بلاد الإسلام ؟ أنطوى الأساليب المدنية ونجرها إلى حوزة الأساليب القرآنية إذا صح أن ثمة تضاربا فى خطى السير لكليهما ؟ أم نجر الأخيرة ونتسع فى فهمها حتى نهضم هذا الجديد .

والواقع أن هذه الحيرة وذلك الترديد بين مجالين نرتبط بهما فى معترك الحياة . هذا الموقف هو الذى دفع بنا إلى أبسط مقامات البحث الذى سنكشف فيه عن ارتباط الدين بالحياة من حيث الإبداع الفكرى والخلق العلمى والاتجاه الفنى وتكوين الجماعة البشرية على أسس قويمة وسياسة حكيمة وغاية نبيلة على طول الخط التاريخى منذ وجدت البشرية حتى الآن وفى مختلف الأطوار والصور .

وإذا كنا نرتبط فى أساليب حياتنا المدنية . المادية والفكرية احيانا والسياسية كثيرا والاجتماعية فى الغالب . والاقتصادية بصورة أكبر بمنهج علمانى مشدود بمناهجنا

التربوية والتعليمية . فنحن فى موقفنا الذاتى والوجودى ، والاجتماعى أحيانا نرتبط بمعتقدات لها من التغلغل والعمق ، والتأثير والتوجيه ما لها . وهذه الإزدواجية فى الشخصية هى التى دفعت ببعض الدول إلى رفض المعتقد وإنكار وجوده فى الخبر الاجتماعى وإن لم تكن بقادرة على استئصاله من القلوب كتركيا مثلا وببعض الأفراد وأعدادهم غفيرة إلى نفس هذا الموقف وبصورة إيجابية فى جانب النفى والهدم سيما من رحل منهم إلى أوربا وأمريكا أو تشرب مبادىء الماركسية .

والحقيقة أن العالم الإسلامى فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين وبعد أن دهمته خطوب الاستعمار والاستغلال الأوربى ، وبعد أن ألغيت الخلافة سنة ١٩٢٤ ، وبعد أن أضرم الاستعمار نار العداوة بين سكان العالم الإسلامى كله بل بين سكان البلد الواحد كمصر والهند و . . . إلخ وقام بدور خطير لكى يعمل على تلاشى الوحدة المنهجيه السلوكية لبلاد الإسلام ولكى يبقى الصعيد التوجيهى لهذه الشعوب المغلوبة على أمرها فى يده لهذا ولغيره قام بدور إحياء العصبيات الأممية التى جاءت لنا فيما جاء مع الاستعمار والمدنية فقد كنا نسمع قبل قيام الثورة العربية الكبرى فى ٢٣ يوليو من ينادى بالفرعونية أو الفارسية فى بلاد إيران . و : . الخ ولعل تعليل ظهور هذه النزعات بظهور الكشوف الأثرية لايستقيم والحقيقة الواقعية .

وقد ساءت الحياة الفكرية الموجهة فى بلاد الإسلام سيرا متعرجا وغير عميق مما كان له أثر مهم فى دفع الطليعة من أبناء هذه الشعوب للنظر فى الأمر جديا واتخاذ موقف حاسم . ففى الهند — أبناء السيد أحمد خان يقوم بإنشاء كلية عليكرة متخذا خطة الدراسة الإسلامية التى لا تصطدم مع الأساليب المعاصرة وهو بهذا الموقف قد قام بدور عظيم .

وفى مجال السياسة التجمعية لبلاد الإسلام وشعوبه فقد عقدت عدة مؤتمرات فى النصف الأول من هذا القرن فى القاهرة ومكة والقدس إرادة التعاون أدبيا وماديا على اتخاذ موقف حازم بالنسبة للاستعمار ودهاء ومكر الصهيونية الفاجرة وتعديل الاتجاه لمجتمعهم نحو القيم والمثل التى تظلهم ،

وإذا كانت هذه البذور قد نبتت وأورقت اليوم وحققت ربحا كبيراً بالنسبة لموقفنا العالمى الآن ، وعملت على ايجاد جو تحررى لبقية الشعوب المستعمرة . ثم خلق أو المشاركة فى خلق كتلة ثالثة تخفف من حدة التوتر العالمى أكثر مما حققته ومنظمة عالمية .

وإذا كان مركز الأمة الإسلامية فى الميزان العالمى من الثقل والترجيح قدر كبير ولا سيما بعد أن تمتعت أكثر شعوبه بالاستقلال وحرية التوجيه .

وإذا كان مركز الاشعاع فيه (القاهرة) قد تقدم بخطى واسعة نحو الانسانية النبيلة ، وهو قد أخذ بالفعل على عاتقه حماية هذه القيم وحل الترديد الذى أسلفناه ، وفى نفس الوقت قام بالعمل على وصل الشعوب الإفريقية والآسيوية واشتراكها فى العمل على تنمية هذه المعانى الشريفة وإطلاعها على خططه ونيته وآماله حيال القضايا المعاصرة والشعوب الاسلامية بتوجيه المؤتمر الاسلامى . هذا الاندفاع القوى من الاشعاع مع تجديده فى طريقة التفكير الدينى وتنظيم الأزهر وتطويره . مع ملاحظة أن هذا العهد العتيق والمنارة التليدة ليست هى جامعة مصرية أو عربية . بل مركز الثقافة والاشعاع الاسلامى وميراث أبناء الإسلام أولا ومحطة الانطلاق الدينى للعالم كله ثانيا ومنارة الهداية ومحطه الرحال لكل قاصد أخيرا ،

وقد لا نكون مغالين فى التفاؤل أمام هذا التطوير إذا التزمت فيه الدراسة سير البحث الدينى . دراسة القرآن الكريم والعربية والفقه والفلسفة والتاريخ والحديث . دراسة عميقة ومستمرة مع دراسة العلوم المفيدة بالنسبة لفلسفتنا التربوية المنتجة إننا بهذا التعميق للدراسة الأزهرية . ولا أقول التخفيف والسطحية نكون قدخطونا خطوة كبرى ووثبنا وثبة عظمى نحو المثل الانسانيه لحل قضايا العصر الشائكة فى العلم والدين والمدنية ، والأمن والحرية ، والسلام والتقدمية . ونكون فى نفس الوقت قد قربنا المسافة الزمنية للتجميع الدينى لشعوب الاسلام وأقنا صرح القومية العربية على أساس متين من المثل والاهداف ونكون قد عمقنا مجرى الثورة من الصعيد إلى القاع فى نفس الفرد والجماعة والانسانية . فما ثورتنا إلا جزء كبير من الثورة العالمية الكبرى التى هزت العمق الانسانى فى هذا العصر . ونحن حيال ذلك كله لانرى للثورة إلا وجها بارزاً مشرقا هو تعبير عن آمال المسلمين والانسانيين وتطورا هائلا فى نفس الخط الثورى .

وعلى أية حال فإن خطة الربط التاريخى والانسانى بين طريقة التنظيم الدينى لاستجابة الانسان للحياة وتعديل قوى الفرد وتوجيه طاقاته وكذلك المجتمع والانسانية فى حدود الإمكانيات المتطورة والقوى الثائرة وبين القطاع الزمنى والثقافى والاجتماعى لدول الإسلام وشعوبه وبلاد القومية العربية . هذه الخطة التى اعتزمنا السير عليها من أول مقال . إذ أن موضوعنا الدين والحياة هو بيان هذه القضايا

والكشف عن حيثياتها . ثم إن الثورة كما نفهم ليست لمصر والعروبة فقط حتى يكون الحديث جزئيا ، ولما كانت الثورة جهودا لجوع بشرية وأفكار وأحداث تاريخية وهى نفسها المكان الزمنى الذى سيتم فيه تمدد المجتمع العربى والإسلامى بكل طاقاته وقواه . ويمكن أن يتم فيه ومن دائرته التوجيه القيم للفرد والإنسانية وفى حدود القوى الاندفاعية فى خط الأمان بين الاشتراكية والرأسمالية .

وإن المبررات والعوامل والاحتياجات وضرورة العصر لتدعو أبناء هذا الجيل فى صراحة وقوة إلى حمل المشاعل وإنارة السبيل ووضع النقط على الحروف ، وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون والأجيال والتاريخ ثم توضعون فى الميزان فتثقل أعمالكم وتسجل جهودكم وتكونون فى عداد الخالدين بناة الحضارات والمدنيات ؟

يتبع

حب الأولياء

قال رجل لأبى يزيد البسطامى رضى الله عنه : دلنى على عمل أتقرب به إلى الله . فقال له :

أحبب أولياء الله يحبوك ، فإن الله ينظر فى قلوبهم إلى اسمك فيغفر لك بحبهم .